

## أسلوبية العنونة في مجموعة "الساقطة" لهيفاء بيطار

محمد أحمد أبو عدل

قسم الإنسانيات || جامعة اليمامة || المملكة العربية السعودية

الملخص: يدرس هذا البحث "العنونة في مجموعة "الساقطة" لهيفاء بيطار"، أملاً في بيان طرائق التعبير التي اعتمدها القاصة في عناوينها؛ ليكتشف تركيزها على تقنيتي السُخرية والمفارقة؛ لذا فقد شرع في التعريف الموجز بمفهوم السُخرية على اختلاف صورته، ثم الانتقال إلى بيان آليات تسخيرها في خدمة الأسلوب، وتوضيح الغاية التي استخدمت لأجلها من منظور المنهجين الأسلوبية والاستقرائي. فعلى صعيد ثنائية الكلام واللغة، جرى بيان أثر السُخرية في إحداث تغييرات أسلوبية تنعكس على صيرورة المعنى، ففضلاً عن المعنيين الوضعي والطارئ للعنوان، تأتي السُخرية؛ لتنتج مدلولاً ثالثاً متمثلاً في المعنى المضاد لما يوهم به الخطاب. أما فيما يتعلق بالمفارقة، فقد تم رفع اللبس الواقع بدايةً بينها وبين السُخرية، ثم الانتقال إلى بيان آليات استخدام المفارقة، التي تركزت على رصد التنافر غير المألوف في التراكيب الإضافية، وما للمتن الحكائي من أثر بالغ في الكشف عن غرابة ذلك التنافر الموظف لاستدراج القارئ والإيقاع به في ثنائية الدال والمدلول. يَبِّنُ البحثُ الغنى الدلالي لبعض العناوين القصصية لدى (بيطار)، لكنه غنى مفتوح على احتمالات عديدة، لا يمكن حصرها بدقة إلا في ضوء نص القصة. وأخيراً، نظرة تأملية وفق علم الأسلوب المقارن في وجه التفرد والخصوصية بين عناوين القصص بوصفها عناوين داخلية لمجموعة "الساقطة"، والعناوين الداخلية للرواية عموماً، وتمييز ما اختصت به عناوين القاصة عن غيرها من تركيز على موضوعات ذات أصداء حزينة وأليمة، تجسّد من خلالها (الظلم، الفجور، الخذلان، الغدر، التسلط، الاستبداد، الدونية، القمع، الفقر...إلخ).

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية- النقد الأدبي- القصة القصيرة- العتبات النصية – دراسة العنوان.

### مقدمة

ثمة أسئلةٌ منهجيةٌ يواجهها الباحثُ نفسه قبل الشروع في كتابة مقال أو بحث أو دراسة أو حتى رسالة جامعية، تدور حول ماهية موضوع البحث، وسبب اختياره، وكيفية دراسته، وإلى أي مدى سيأتي بجديدٍ مجدٍ في مجاله؟!.

فقد حظيت العنونة- رغم حداثة العناية بها- بإقبال كبير في الآونة الأخيرة، تناولها تنظيراً وتطبيقاً إلى أن قُتلت بحثاً أو كادت، ولا سيما على صعيد الفن الروائي، بيّدت أن أجناساً أدبيةً أخرى كالقصة القصيرة، كانت أقلّ نصيباً من الاهتمام؛ مما شجّع على دراسة العنونة في هذا الجنس الأدبي؛ عساها تكون خطوةً مشجّعةً للخوض في دراسة العتبات النصية عموماً في أجناس أدبية أخرى كال مسرح الذي ما يزال يفتقر إلى هذا النوع من الدراسات؛ لذا تتجلى جدّة هذا البحث في كونه أوّل دراسة أكاديمية تناولت العنونة في القصة القصيرة، في حين كثرت دراسة العتبات النصية في الأعمال الروائية والشعرية، ومن هنا أراد هذا البحث أن يكون سابقاً في تسليط الضوء على دراسة العنونة بوصفها أبرز العتبات النصية وأهمها، وبيان ما لها من خصوصيات عند موازنتها مع قرينتها في الأعمال الروائية.

وقع اختيار البحث على المجموعة القصصية "الساقطة" \* للكاتبه (هيفاء بيطار) \* التي تفرّدت بقلم ينفاج عن قضايا لا تقتصر فقط على هموم المرأة، بل تتجاوزها أحياناً؛ لتعبر عن هموم الإنسان بسردها الأخاذ الممتع. أمّا عن الدراسات السابقة، فلا يوجد دراسة أكاديمية تناولت هذا العمل الفني بمقاربة نقدية جادة، وما اطلعتُ عليه في هذا الخصوص لا يتعدى كونه قراءاتٍ انطباعيةً صحفية نُشرت في بعض المواقع الإلكترونية، سردت مضامين المجموعة القصصية، وعرّفت بها، دون التطرق إلى جمالياتها الفنية، وممن قدّم مثل هذه القراءات السريعة المختصرة داود إبراهيم الهالي، وراتب حمد، ونسب أديب حسين.

أما عن المنهج النقدي المعتمد في هذه الدراسة، فقد جرى عرض هذا البحث على المناهج النقدية، فاجتذبه منها المنهج الأسلوبى (Stylcal Approach) على اختلاف اتجاهاته؛ لأن طرائق التعبير هي أبرز ما يلفت في عناوين القصص لدى (بيطار)، فضلاً عن المنهج الاستقرائى (Approach inductive)؛ لأن عنوانه القصص جانب لم تُبيّن معالمه بعد، ويحتاج إلى منهج كهذا؛ للكشف عن خصوصياته على الصعيد العام بما يناظرها في الفن الروائى، وعلى الصعيد الخاص في ذات قصص (بيطار)، التي تميزت بانزياحاتها الأسلوبية مستخدمة تقنيّتي السُخرية والمفارقة بكثرة، فكان لهما الأثرُ الجليُّ في استنثارهما بأغلبية هذا البحث.

#### أولاً- السُخرية (Irony):

إن أبرز ما يميز الخطاب القصصى لدى (بيطار) عمومًا والعنوانه خصوصًا، هو الولع بالسُخرية التي تعني في مفهومها البلاغى "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل"<sup>1</sup>، ولها صور مختلفة، فمنها ما يكون بقصد الإضحاح كما في الملهة اليونانية، ومنها ما يكون لتقديم العبرة كما هي الحال في المأساة اليونانية، وقد تكون للازدراء، أو التوبيخ، أو التحسر... إلخ. أمّا معناها لغويًا، فإنه يقترب ممّا اصطُلحت عليه دون أن يتطابق معه؛ لما جاء في لسان العرب: "سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وَسَخْرًا وَمَسْخَرًا وَسُخْرًا، بالضم، وسُخْرَةً وَسُخْرِيًّا سُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً: هزئ به [...] والسُخْرَةُ الضُّحْكَةُ"<sup>2</sup> وبهذا دلالة على معنيين أساسيين في السُخرية هما التهمك والضحك.

أمّا الغالب على العنوانه في قصص بيطار، أن تكون السُخرية فيما بغرض ازدراء ظواهر مرصية مستأصلة في المجتمعات، انطلاقًا من مبدأ إنكارها والدعوة إلى مواجهتها وعلاجها، كما أن "السُخرية من بعض الأحداث يمكن أن تحمّل إيحاءات، ظاهرها الإضحاح، لكنها تخفي أبعادًا مأساوية تنجح في تصوير الفروق بين حياة بيئتين"<sup>3</sup>، كما في قصة "حوار إنسانى"، حيث تبلغ السُخرية ذروتها في حديث لا إنسانى، يفتقد عنصر التكافؤ؛ إذ يدور بين رجلين: أحدهما غنى جدًا، والآخر فقير جدًا، وفي أثناء الحوار بين هذين الشخصين، يتبجّح الأول بثرائه الفاحش، في حين

\* حازت هذه المجموعة القصصية "الساقطة" على جائزة إبي القاسم الشابي، وقد ضمت أربع عشرة قصة، عكست صوراً متعددة لواقع الحال الذي ترزح تحت وطأته الأسرة العربية وهي قصص راهنة شديدة الحساسية ومثيرة للقلق في آن معاً...

\* د. هيفاء باسيل بيطار قاصة وروائية سورية. تعمل طبيبة اختصاصية في أمراض العيون وجراحاتها، وتعمل في مشفى اللاذقية الحكومى وعيادتها الخاصة. الدكتورة من مواليد مدينة اللاذقية عام 1960، كما إنها عضو جمعية القصة والرواية في سوريا. ولها إنتاج قصصى وروائى غزير.

يُنظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki> تاريخ الدخول 12\03\2018.

1 وهبه، مجدي: معجم مصطلحات الأدب، ص263.

1- And look L. guerin, W, Ital (1999) "A handbook Of Critical Approaches To Literature", P90.

2 ابن منظور: لسان العرب، مادة سخر.

3 الحسين، أحمد جاسم: القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين، ص330.

يتدمر الثاني من فقره المدقع، مترافقاً هذا لدى الطرفين مع عرض مواقف وحالاتٍ تعريٍ على نحو صارخ عمق الفجوة السحيقة بينهما، فتتجسد السُّخْرِيَّةُ بابتسامه ترتسم على شفاه القارئ تتزامن مع غصّةٍ أسمى تستتر في الحنجرة؛ لهذا رأى بعضهم "أن المفارقة لا تكون كذلك إلا عندما يكون الأثر نتيجة امتزاج الألم بالتسلية"<sup>4</sup> فقد تضمنت السُّخْرِيَّةُ هجاءً وازدراءً لأنانية الأثرياء وماديتهم، وتحسُّراً وأسى على الفقراء؛ لضيق أحوالهم بأسلوب لا يخلو من الطرافة.

من منظور ثنائية اللغة والكلام التي اقترحها العالم اللغوي السويسري فريديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure)<sup>5</sup>، تخرج السُّخْرِيَّةُ بالعنوان عن معناه المستعمل في الكلام الدارج حديثاً إلى نقيضه تماماً، كما هي الحال في قصة "شطارة" التي تحكي قصة شابة توسّلت جسدها؛ لتحقيق طموحاتها، وتبلغ مأربها، فغادرت هذه اللفظة معناها السائد الإيجابي الذي يوحى بكلمات مثل: المهارة، والحنكة، والذكاء، والإتقان؛ لتشير إلى مدلول ذميم هو "الحقارة"، ذلك لأن من أبرز طرق السُّخْرِيَّةِ أن تُستخدم كلماتٌ مديح في احتقار شخصٍ أو شيءٍ ما<sup>6</sup>.

والجدير بالذكر أن الأصل المعجمي لهذه الكلمة يقترب بمعناه السلي من نظيره المراد في القصة، فقد ورد في لسان العرب: "قال أبو إسحق: قولُ الناس فلانٌ شاطرٌ معناه أنه أخذ في نحو غير الاستواء، ولذلك قيل له شاطر؛ لأنه تباعد عن الاستواء"<sup>7</sup> غير أن السُّخْرِيَّةَ هنا أحدثت- حسب الأسلوبية التعبيرية - تغييراً أسلوبياً في معنى الكلمة لاختلاف أسلوب استخدامها<sup>8</sup>، تمخّض عنه مدلولٌ جديد، يقترب من أصله المعجمي، ويتضاد مع المعنى المستعمل الشائع، مما يدل على فاعلية السُّخْرِيَّةِ في إحداث التغييرات الأسلوبية، ودورها في استتار مدلولات وإبراز أخرى.

بيد أن العنوان "شطارة" مرّ بصيرورة دلالية على مدى القصة تكشف مراحل انزياحاته في فكر بطلة القصة ولدى القارئ أيضاً، ولا سيما أن تكرار وروده الكثيف بلفظه الصريح في متن القصة إلى أن بلغ واحداً وثلاثين مرة، يدل على تملكه اهتمام الكاتب كالهاجس، ومن خلال تتبع تلك المواضع الكثيرة، يتبين أنه في بداية القصة أتّشج بدلالات إيجابية برّاقة تعري بالإقبال عليه من خلال إضافته إلى كلمات، مثل: (منطق الشطارة، موهبة الشطارة، مبدأ الشطارة، ملكة التشاطر...)، فكانت البطلة مفتتنة بهذا المبدأ، لكنها عندما تشرع في تطبيقه تتزعزع ثقمتها به، تلعّفها حالة من الدهول والحيرة والشك، تظهر بجلاء في أسئلة تطرحها على نفسها: "تساءلت بضياح أهذه هي الشطارة؟ لكم هي شاقة! ما أصعب أن تتشاطر المرأة! [...] ألا تعني الشطارة أن يرسم الجسد طريقةً بمعزل عن الروح؟ [...] ترى ما هي قواعد الشطارة؟ كيف تشاطرت فلك وتحوّلت من طالبة مغمورة إلى سيدة ثرية تلعب

\* تجدر الإشارة إلى أن المترجم استخدم لفظة "مفارقة" بمعنى "سخرية"؛ لأنها ترجمة عن "Irony"، في حين ميّز الناقد (مجدي وهبه) بين المفارقة (Paradox) والسُّخْرِيَّة (Irony).

انظر وهبه، مجدي: معجم مصطلحات الأدب، ص262 وص381.

4 مجموعة من المؤلفين: موسوعة المصطلح النقدي، إعداد وترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ج21/4.

فصل "المفارقة" ضمن المجلد الرابع من الموسوعة بقلم: د. سي. ميويك.

5 انظر الموسى، خليل: جماليات الشعرية، ص237. وجيرو، بيير: الأسلوبية، تر: منذر عياشي، ص116. ووليك، رنيه، (وأوستن وآرن): نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، ص241. والمسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص58.

6 Macey, D. (2000) "The Penguin Dictionary Of critical Theory". P206.

7 ابن منظور: لسان العرب، مادة شطر.

8 انظر جيرو، بيير: الأسلوبية، ص52.

بالملايين؟"<sup>9</sup> لكن البطلة تحزم أمرها عند نهاية القصة بعد أن تتبين أن الشطارة تعني أن تتاجر بجسدها، فتفرض عقد عمل بمرتب خيالي فائلة لفلك ربّة العمل: "لن أتشاطر، لن أتشاطر"<sup>10</sup>.

كذلك هي قصة "الساقطة" التي تستنكر بأسلوبها الساخر هذه الصفة التي تُطلق على امرأة يتيمة ودميمة، أفنت شبابها في إعالة إمامها المريضة وأخويها وأولادها إلى أن بلغت الثالثة والخمسين، لكنها صارت ساقطة في نظرهم لمجرد أنها أحبت رجلاً، وصارت تزوره في بيته، فالقصة تُعنون بالتعبير الذي وصمها به أقرب الناس إليها ممن جادت عليهم بأجمل سني عمرها، وتتجلى السُخريّة في توفر مقتضياتها، فالمعنى ذو مستويين يحسهما القارئ في التناقض الظاهر بين العنوان "الساقطة" والتصرفات الفاضلة لبطلة القصة، كما أن شخصية البطلة جاءت ملائمة بوصفها موضوعة للسخرية بما جمعت من صفتي البراءة والسذاجة.

وفي قصة "حرمة القرارات" تُصيرُ رئيسة التمريض قرارًا يقضي بنقل ممرضة إلى مستوصف ناءٍ؛ لمجرد أنها ضُبطت متلبسة بنسج الصوف في أوقات فراغها ذلك أن "الوقت طويل؛ ثماني ساعات، وفي كل قسم أضعاف مضاعفة من الممرضات والحاجة لاثنتين أو ثلاث على الأكثر، فلماذا يحشرون العشرات فيها؟"<sup>11</sup> وتفشل جميع محاولات التراجع عن القرار، فتجيء السُخريّة من قطعة مثل هذه القرارات النهائية التي تُتخذ بحق موظفين بسطاء، ومن الهالة القدسية التي تحظى بها تلك القرارات الجائرة، فهي غير قابلة للمناقشة أو الطعن؛ لأن الظن المزعوم أن تلك القرارات ليست صادرة عن بشر خطّائين أساؤوا التقدير، بل هي منزّلة من جهات رسمية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فكأنها ذات إلهية والاعتراض عليها محاولة للتطاول على القضاء والقدر.

يظهر فضل السُخريّة في قدرتها على كشف التضاد المعنوي بين المفهوم السائد حول شيء ما، والواقع الموضوعي لذلك الشيء، ولا سيما في لغة الأدب فهي "أكثر قدرة على التعامل مع ما يقول الناس أو يفكرون أو يشعرون أو يعتقدون، ومن ثم على تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون وبين ما يعتقد وما هو واقع الحال. وهذا بالضبط هو المجال الذي تنشط فيه المفارقة"<sup>12</sup>، فقصة "صديقي التمساح" - وهي ليست للصغار كما قد يبدو من العنوان للوهلة الأولى- يحاول العنوان فيها أن يتمرد على الدلالة التي تدين هذا الحيوان المفترس بصفة الوحشية، كما تدينه بصفة النفاق والاحتيال؛ لذلك فإن نهاية القصة تتعجب من المثل الدارج: "يقولون دموع التماسيح! لكن أي زمن هذا يكون فيه تمساح ميت أكثر رحمة من البشر!"<sup>13</sup> فليست غاية السُخريّة والمفارقة الثناء على هذا الحيوان أو تبرئته، بل بيان مدى القسوة التي وصل إليها البشر، تمامًا كما كانت تفعل غادة السمان في ثنائها على طائر البوم في أدبها، "هي البومة مجددًا ودائمًا لم تهرب من عالم البشر إلا لأنها تقديراً لا تطيق فضائهم تجاه بعضهم بعضاً وإزاء الكائنات الأخرى، ربما كان كل صدى نعيب سرد [كذا] لفضائع تترى من صنع البشر؛ لهذا يكون حضور البومة الخرابي حفراً في آثار البشر: جرائمهم المعتم عليها"<sup>14</sup> فلا شك في أن الحديث عن حيوانين كالتمساح أو البوم أو غيرهما يغدو عبثياً، ولا أهمية له في ذاته، بل يستمد حيويته وجدواه من إسقاطه على عالم البشر.

9 بيطار، هيفاء: الساقطة، ص 28، 30.

10 المصدر نفسه، ص 32.

11 المصدر السابق، ص 75.

12 مجموعة من المؤلفين: موسوعة المصطلح النقدي، إعداد وترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ج 17/4.

فصل "المفارقة" ضمن المجلد الرابع من الموسوعة بقلم: د. سي. ميويك.

13 بيطار، هيفاء: الساقطة، ص 130.

\* يفترض في كلمة "سرد" أن تكون منصوبة؛ لأنها خirkan.

14 محمود، إبراهيم: حدثني البومة، قالت... مقاربة جمالية نصيّة لكتاب غادة السمان "الرقص مع البوم"، ص 64.

لكن قصة "صديقي التمساح" جمعت بين السُّخْرِيَّة والمفارقة، السُّخْرِيَّة من قسوة البشر، والمفارقة التي تتجلى في صداقة تمساح معروف بعدوانيته، فعلى الرغم من شدة التقارب بين هاتين التقنيتين، إلا أن السُّخْرِيَّة تتميز عمومًا بنبرة تهكم أو استهزاء أو استخفاف أو ما شابه ذلك.

### ثانيًا- المفارقة (Paradox):

ثمة التباس وخلط بين مفهومي المفارقة والسُّخْرِيَّة، فالأول يعني مجرد شعور القارئ بتناقض بين الكلام وحقيقته، يؤدي إلى تعدد احتمالات المعنى، ورد في لسان العرب: "وقفتُ فلانًا على مفارق الحديث أي على وجوهه"<sup>15</sup> فالمفارقة تشعب معاني الحكيم بما تثيره من تناقض في تركيب الجملة على شكل يوحى باللامنطق، وقد جاء في تعريفها: "عبارة تبدو متناقضة أو غير معقولة في ظاهرها مع أنها بالفحص والتأمل يتبين أن لها أساسًا من الحقيقة"<sup>16</sup>، في حين تعني السُّخْرِيَّة- كما جرى بيانه سابقًا- عكس الكلام المقال أو المكتوب، فالفرق بينهما باختصار يكمن في كون المفارقة عقلية بما تثيره لدى القارئ من تناقض لامعقول، لا تعول كثيرًا على الجانب الوجداني كما تفعل السُّخْرِيَّة التي تسعى إلى جذب القارئ باعتماد الأسلوب التهكمي في عرض المعنى المضاد لما هو مراد.

المفارقة تقنية أخرى استخدمتها (بيطار) في عناوين قصصها، وتركزت في التراكمب الإضافية كما في قصتي "نوبة ربو ... نوبة حب" و"حب على حافة الحياة". ففي القصة الأولى يلفت الانتباه المفارقة الحاصلة بين المضاف "نوبة" والمضاف إليه "حب"، فمن المؤلف في هذا المضاف أن يكون تعبيرًا عن أزمت صحية، مثل: (نوبة قلبية، نوبة صرع... إلخ)، وقد عزز من هذا التناقض الغريب من نوعه المقابلة البلاغية بين نوبتي الربو والحب في العنوان.

أما عن تفسير هذا التناقض الظاهري بين هذين المتضامين، فيتجلى في المتن الذي يحكي قصة عجوز وحيد داهمته نوبة الربو، فتذكر حنوء زوجته وطيبتها بعد مرور نصف قرن، نادماً على حقه وظلمه لها، فقد طلقها وحرمها ولديها لمجرد أنها رفضت ترك مهنتها بوصفها محامية تنافح عن حقوق المرأة، كانت آثار حبه العتيق لا تقبل وطأة عن نوبة الربو التي داهمته " ... لكنه تهالك لاهتًا، يطلب الهواء، أو يطلها هي، لأن حنجرته كانت تئن منادية أنجيل، أنجيل..."<sup>17</sup> وهو يحتضر، مكتشفًا أن حاجته لها في تلك اللحظات تفوق حاجته إلى الهواء، وافتقادها سبب له نوبة حبٍ أعتى وأقسى من نوبة الربو.

أما في عنوان قصة "حب على حافة الحياة"، فمن المؤلف التعبير عن شيخ شارف على الموت بالقول: "على حافة قبره"، بيد أن القصة أضافت كلمة "حافة" إلى نقيض ما تُضاف إليه عادة "الحياة"، مما كسر أفق التوقع لدى القارئ، وأثار لديه الفضول، فالعنوان يحكي قصة رجل مسنٍ ووحيد يئس أولاده وأحفاده من كل أمل بموته، فأوكلوا شؤونه إلى خادمة في الأربعين تعني به في بيته الكبير، لكنه أحبها وأحبته، فلمَّا رغب في الزواج من هذه المرأة، طردها أولاده بعد أن هدّدوها بشرفها، وسجنوا والدهم المسن في مشفى المجانين، فاصطناع مفارقة العنوان "حب على حافة الحياة" إنما كان بفعل ما بعثته تلك المرأة البسيطة في نفس ذلك العجوز من حيوية وتجدد، شعر بهما أنه مقبل على الحياة لا الموت.

15 ابن منظور: لسان العرب، مادة فرق.

16 وهبه، مجدي: معجم مصطلحات الأدب، ص 381.

17 بيطار، هيفاء: الساقطة، ص 42.

## ثالثاً- ثنائية الدال والمدلول (Signifier and signified):

عند النظر إلى العنوان بمفرده يكون عبارة عن دال ذي مدلولات مفتوحة ومتعددة كما هو عنوان قصة "الصرخة"، الذي يصلح أن يكون تعبيراً عن مشاعر مختلفة، وقد تكون متناقضة كالحزن أو الألم أو الفرح ... إلخ، وهنا يكون لزاماً اتباع الأسلوبية البنيوية\* ولا سيما ثنائية الدال والمدلول التي يوضحها الناقد (خليل الموسى) عند فريديناند دي سوسور (Ferdinand de Saussure) بالقول: "الدال ثابت عنده والمدلول متبدّل، وهذا ما نفذ منه البنيويون وسواهم إلى أن لغة الأدب تتحمل دلالات لا دلالة واحدة، أو أن الدال الذي كان مقيداً بمدلول محدد تحرر منه وصار متعدد المعاني"<sup>18</sup> لكن احتمالات تعدد المعنى تتحدد على ضوء قراءة الخطاب القصصي، ففي قصة "الصرخة" التي تملُّ فيها البطلة العنوسة، وقد بلغت ثلاثة وأربعين عامًا، تُقدِّم على ارتكاب الفاحشة، ليكون الحمل، ثم الإجهاض مصحوباً بالصرخة الرحمية التي "يطلقها الرحم حين يتخلص من حملة"<sup>19</sup> وبهذا يتحقق المدلول الأول (م1) والمباشر من "الصرخة"، بيد أن السارد يوجي بمدلولات أخرى غير حسية تتفتق من العنوان أيضاً، فيقول: "ندت عن روحها صرخة خرساء تعود لمئات السنين [...] وقبل أن تستسلم لغيوبة النوم سمعت صراخاً بعيداً حزيناً كله شجن"<sup>20</sup> فهي صرخة حزن على الجنين (م2)، وصرخة ألم الإجهاض (م3)، وصرخة ندم على فعل الزنا وتنكُّ الرجل (م4)، وصرخة احتجاج على معاناة المرأة العانس (م5)، وصرخة استغاثة لإنقاذها مما تتعرض له من قهرها (م6).

لكن السؤال الجدير بالطرح في هذا الموضوع هو:

ما الذي أحدث كل هذا التعدد الدلالي والوجداني للعنوان "صرخة"؟

إنه تعددٌ وليد الغنى الدلالي الذي تزخر به اللفظة ذاتها، ففي خارج النص صيحةٌ تعبير عن انفعالات متعددة، منها: (الألم، والقهر، والفرح، والكره، والغضب، ... إلخ)، يُبدَأ أن نصَّ القصة استخدم من هذه الدلالات المتعددة ما يؤدي الغرض.

## رابعاً- خصوصية العنونة القصصية:

عند مقارنة العنونة في قصص بيطار وفق علم الأسلوب المقارن الذي يستدعي "المقارنة والموازنة والمشابهة"<sup>21</sup>، يتبيَّن أنَّ مساحة التفرد والخصوصية بين عناوين الأجناس الأدبية تضيق بسبب تقاربها الشديد<sup>22</sup>؛ لذا فإن مقارنة العنونة في الفنون الروائي والقصصي - على سبيل المثال لا الحصر- تعدم العنور على اختلافات صريحة بينهما، باستثناء خصوصية يتيمة تكاد تكون ظاهرة للعيان، ولا جدوى كبيرة من الإطالة في عرضها، ولكن لا بأس من الإلماح إليها في هذا المقام الذي يقتضيها، وتتجلى في أن العناوين الداخلية للمجموعات القصصية تتصف بالقطيعة

\* ثمة من أطلق على الأسلوبية البنيوية تسمية "منهج النظم" نسبة إلى نظرية النظم التي قالت بتعدد المعاني للدال الواحد عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة". انظر أبو هيف، عبد الله: اتجاهات النقد الروائي في سورية، ص 331. والسيد، غسان (وآخرون): اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، ص 178.

18 الموسى، خليل: جماليات الشعرية، ص 239.

وانظر: الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 200. وتشاندلر، دانيال: مرجع سابق، ص 219.

19 بيطار، هيفاء: الساقطة، ص 19.

20 المصدر السابق، ص 19.

21 القاعود، حلمي محمد: النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراتها، ص 285.

22 انظر حسين، خالد حسين: في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، ص 309.

التامة فيما بينها؛ لأن كلَّ عنوان منها يمثل قصة مكتفية بموضوعها وبمكوناتها السردية ذات الاختلاف الكلي عن سواها، على خلاف العناوين الداخلية - إن وُجدت- في الرواية والتي تجمعها ذات الموضوع وذات المكونات السردية. أما عن خصوصية العنونة على صعيد قصص بيطار، فقد تبين أنها لا تأبه بإجلاء الجوانب المشرقة في المجتمع، بل تجدها معنية فقط بإبراز مواطن الحزن النفسي والألم الجسدي؛ لأنها تصدر في كتاباتها عن نفس ملتاعة بما يهزُّها من تلك المَواطن، مما انعكس على عناوين قصصها، فاتشحت بالسواد بما اخترنت من إحياءات سلبية تبعث في نفس القارئ شعورًا بقتامة المشهد القصصي، وآية ذلك في مجموعتها القصصية "الساقطة" (الصرخة، نوبة ربو... نوبة حب، صعقة الحب، صفير النهاية، على شفير الهاوية... إلخ).

### خاتمة:

- كما هو شأن كل خاتمة تتضمن نتائج بحثها، فقد انتهى هذا البحث إلى النتائج الآتية:
- 1- شكَّلت السُخْرِيَّة في عناوين قصص (بيطار) ظاهرة جديرة بالاهتمام، لكثرة استخدامها والتعويل عليها، بوصفها وسيلة تَنقِذ بحدَّة قضايا اجتماعية جوهرية من مثل التفاوت الطبقي، والأخلاق المتردية، ونكران المعروف... إلخ.
  - 2- تبين في هذا البحث بعدما رصد إجرائيًا تقنيي "السُخْرِيَّة والمفارقة"، أنهما أبرز مُحدثات الانزياح الدلالي، مما كان لهما أثرهما الواضح في جذب القارئ، وهذا يغري من يرغب الخوض في دراسات أسلوبية أن يدرس ويستقصي مُحدثات التغيُّرات الأسلوبية عمومًا.
  - 3- لا يعدم المتفحِّص في عنونة الرواية والمجموعة القصصية العثورَ على خصوصية تكمن في العناوين الداخلية التي توحيها في الفن الروائي بنيته السردية، أمَّا في المجموعات القصصية، فإن هذه العناوين الداخلية تمثِّل قصصًا مستقلة لا رابط بينها سوى اندراجها كلِّها تحت مسمَّى إحداها.
  - 4- تبين دراسة العنونة في قصص (بيطار) أن قضايا المرأة تحتلُّ بؤرة اهتمامها، بيدَّ أنها كانت تتجاوزها أيضًا إلى قضايا عامة، كالفقر والشيخوخة في قصتي: "حوار إنساني، حبُّ على حافة الحياة".

### المصادر والمراجع

#### الكتب العربية:

- 1- ابن منظور (2004) لسان العرب، دارصادر، بيروت، ط3.
- 2- أبو هيف، عبد الله (2006) اتجاهات النقد الروائي في سورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق..
- 3- بيطار، هيفاء (2010) الساقطة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1.
- 4- الجرجاني، عبد القاهر (2005) دلائل الإعجاز، اعتنى به: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1.
- 5- الحسين، أحمد جاسم (2001) القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 6- حسين، خالد حسين (2007) في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، دمشق، د.ط.
- 7- السيد، غسان (وآخرون) (2004) اتجاهات نقدية حديثة ومعاصرة، منشورات جامعة دمشق، دمشق.
- 8- القاعود، حلمي محمد (2006) النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراتها، دار النشر الدولي، الرياض، ط1.

- 9- محمود، إبراهيم (2009): حدثني البومة، قالت... مقارنة جمالية نصيَّة لكتاب غادة السمان "الرقص مع البوم"، دار الطليعة، بيروت، ط1.
- 10- المسدي، عبد السلام (دون تاريخ) الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3.
- 11- الموسى، خليل (2008) جماليات الشعرية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1.
- 12- وهبه، مجدي (1974) معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط.

#### الكتب المترجمة:

- 13- تشاندلر، دانيال (2008) أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- 14- جيرو، بيير (1994) الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط2.
- 15- مجموعة من المؤلفين (1993) موسوعة المصطلح النقدي، إعداد وترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
- 16- ووليك، رنيه، (وأوستن وأرن) (1992) نظرية الأدب، ترجمة: عادل سلامة، دار المريخ، الرياض.

#### الكتب الأجنبية:

- 17- L. guerin, W, Ital (1999) "Ahandbook Of Critical Approaches To Literature" New York: Oxford University Press.
- 18- Macey, D.(2000) "The Penguin Dictionary Of critical Theory" England, London: Penguin.



## The Stylistic of Titling In the collection of stories "Alsaketa" to Haifa Bitart

**Abstract:** This research studies "label in a "Assaketa" to Haifa Bitar, hoping in a statement ways of expression adopted by narrator in her titles; to discover her focus on two techniques that irony and paradox; therefore initiated in the Brief definition of the irony concept with different types, then move on to the statement processes of her harnessed to servicing method, and significance for which it was used to from the stylistic approaches and inductive.

At the bilateral level speech and language, statement was ironic effect in the stylistic changes are reflected on the evolution of meaning, apart from two meanings the Postural and emergency of the title, irony comes; to produce the third signified which represents the counter meaning to what the illusion of speech.

With regard to the paradox has been first raised confusion existing between it and the irony, then move on to a statement of the use of irony, which focused on monitoring dissonance is uncommon in the Additional compositions, and the board narrative of major impact in the detection of surprisingly so jarring employee to lure the reader and rhythm to it.

In both signifier and the signified, search explained semantic richness of some narrative titles with (Bitar), but it is available richness to many possibilities, can be identified only in the light of the text of the story.

Finally, contemplates search types singularity and privacy addresses stories as internal addresses of the group "Fallen", and internal addresses of the novel generally according Stylistics Comparative determine characterized addresses Alsardh for others, such as focusing on topics sad, embodies Alsardh through qualities such as:(injustice, immorality, abandonment, betrayal, oppression, tyranny, inferiority, oppression, poverty, etc.).

**Keywords:** Stylistic- literary criticism- short story- textual thresholds – title study